

السائل الأحمر

الشيخ محمد صالح المنجد

النبذة: الدم هو السائل الأحمر الذي يجري في العروق، الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في الأحياء، ولهذا الدم أحكام وفيه حكم، وجعل الله في الدماء أحكاماً في القصاص، وجعل دماء المسلمين محرمة، ودماء المسلمين متكافئة.

أحكام الدم.

الدماء المحرمة.

الدماء الشريفة.

خطورة القتل.

الدماء المهذرة.

آيات وعجائب في الدم.

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
أما بعد:

أحكام الدم.

فيا عباد الله:

إن الدم هو السائل الأحمر الذي يجري في العروق، الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في الأحياء، ولهذا الدم أحكام وفيه حكم، ولنا وقفات معه.

هذا الدم الذي حرمه الله سبحانه وتعالى فقال: **{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ}** (سورة البقرة 173)، وأمر المسلمون بغسله، وكذلك تغسل المستحاضة والحائض الدم، وهبنا عن ثمنه، فلا يجوز أخذ مقابل له، وشرعت لنا دماء عظيمة تهرق في الله تعالى كدماء الهدى والأضاحي **{لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ}** (سورة الحج 37)، وكذلك دم العقيقة التي تفك أسر المولود من الشيطان، قال عليه الصلاة والسلام: **((مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى))** [رواه البخاري 5471] رواه البخاري.

وتفاوتت الدماء في النجس، فدم الخنزير من أنجسها، ولذلك لما نهانا الشارع عن اللعب بالنرد نفرنا من ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: **((من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه))** [رواه أبو داود 4939].
حديث صحيح رواه أبو داود.

والدم المسفوح يحرم شربه بخلاف دم العروق الذي يعسر التخلص منه في الذبائح، وما أهر الدم نأكل منه، وأما إذا خنقت أو صعقت فإنها ميتة.

وجعل الله في الدماء أحكاماً في القصاص كما قال عز وجل: **{وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}** (سورة المائدة 45).

الدماء المحرمة. 03:11

إن الشريعة قد جعلت دماء المسلمين محرمة، ((إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)) [رواه مسلم 1218]. أعلنها صلى الله عليه وسلم في يوم الحج الأكبر.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه أتاه رجلان في فتنه فقالا: إن الناس صنعوا وأنت ابن عمر، وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم، فما يمنعك أن تخرج - أي في الحرب -؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي، فقالا: ألم يقل الله: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** (سورة البقرة 193)، فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنه وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنه ويكون الدين لغير الله. [رواه البخاري 4513] رواه البخاري.

ودماء المسلمين متكافئة كما قال عليه الصلاة والسلام: ((المؤمنون تكافؤ دماؤهم)) [رواه أبو داود 4530]. أي: أن الشريف يقتل بالوضيع، ولا ينظر إلى فارق النسب ولا المال؛ لأن المسلمين تتكافؤ دماؤهم.

الدماء الشريفة.

أيها الإخوة: إن من الدماء دماء شريفة، دماء عظيمة، لها عند الله وقع كبير، وأعلها دم المجاهد الذي يهراق في سبيل الله، ((ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع من خشية الله، وقطرة دم هراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله)) [رواه الترمذي 1669]، تمشي إلى الجهاد أو إلى المساجد.

هذه الدماء الشريفة قال عليه الصلاة والسلام لما سئل: أي القتل أشرف؟ قال: ((من أهريق دمه وعقر جواده)) [رواه النسائي 2526]. رواه النسائي.

دم الشهيد سعد لما سال إلى المسلمين من خيمته التي كان موضوعاً فيها، ما وعوا إلا والدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً، فمات فيها. [رواه البخاري 463] كما رواه البخاري.

ودم الشهيد ابن ملحان الذي روى قصته أنس رضي الله عنه: لما طعن حرام بن ملحان، وكان خاله يوم بئر معونة، قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة. [رواه البخاري 2801] رواه البخاري. إن لهذه الدماء؛ دماء الشهداء التي أريقت لتكون كلمة الله هي العليا، لها رائحة زكية، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله، والله يعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك)) [رواه البخاري 2803]. رواه البخاري.

العرف عرف المسك، هكذا كرامة من الله تعالى، تأتي يوم القيامة كهيتها إذا طعنت تفجر دماً، اللون لون الدم والعرف عرف المسك.

عباد الله:

من أجل ذلك كانت دماء الشهداء لا تغسل، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: ((أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟)) فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال: ((أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)). وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم. [رواه البخاري 1343] رواه البخاري.

إن الدماء إذا كانت من أجل طاعة عظمت عند الله، وهانت على الإنسان أن يضحى بها في سبيل الله، ولو جرح في أثر طاعة فإنما هو في سبيل الله، كان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المشاهد، وفي رواية: خارجاً إلى الصلاة، وفي رواية: أنه كان في غار فدميت أصبعه، فقال: ((هل أنت إلا أصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت)) [رواه البخاري 2802]. وفي سبيل الله ما لقيت من هذه الجراح. رواه البخاري.

إن هذا الدم الذي سال من النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه الشريف لما جرحوه في أحد وكسروا رباعيته، وفاطمة تغسله، والدم يزيد فعمدت إلى حصر فأحرقتها، وألصقتها على جرحه صلى الله عليه وسلم فرقاً بالدم. إن هذه الدماء الشريفة التي ذهبت لله وفي الله جراحة وقتلى لا تضيع عند الله أبداً، إنما عند الله بمكان عظيم، كذلك دم الداعية الذي يعتدى عليه، قال عليه الصلاة والسلام وقد حكى عنه الراوي: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: ((رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) [رواه البخاري 6929]. رواه البخاري، قيل: هو نوح عليه السلام.

دم التائب، وما أدراك ما دم التائب؟ تلك التي شدت عليها ثيابها، ثم رجمت، فيقبل خالد بن الوليد بجحر فرمى رأسها فتضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبه إياها، فقال: ((مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس)) الذي يأخذ الضرائب ظمناً من الناس ((لو تابها صاحب مكس لغفر له)). ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت. [رواه مسلم 1695] رواه مسلم.

خطورة القتل.

إن الدماء شأنها عظيم، ولذلك أول ما يقضى يوم القيامة في الدماء كما قال عليه الصلاة والسلام: ((أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)) [رواه البخاري 6533 ومسلم 1678]. وهو في الصحيحين، أول ما يقضى بين الناس في قضايا الخلق في الدماء، فكما أنهم أول ما يحاسبون عليه الصلاة فيما يتعلق بالخلق، فكذلك أول ما يحاسبون عليه الدماء فيما يتعلق بأمور الخلق.

((يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً، فيقول: يا رب هذا قتلني، حتى يديه من العرش)) [رواه الترمذي 3029]. قال الترمذي: هذا حديث حسن، ((حتى يقف بين يدي الله، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني)) [رواه النسائي 3998].

((لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)) [رواه البخاري 6862]. هذا الحديث الذي في الصحيح يبين أن المؤمن في سعة فإذا أصاب دماً حراماً ضاقت عليه، ولذلك كان بعضهم يرى أن القاتل لا تقبل توبته.

فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: إن من ورطات الأمور، -والورطة: هي المهلكة التي لا ينجو منها أحد-، إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله. [رواه البخاري 6863] رواه البخاري.

ولذلك كان ابن عمر يقول للقاتل العمد بغير حق: تزود من الماء البارد فإنك لا تدخل الجنة.

إن الشأن عظيم، قال صلى الله عليه وسلم: ((لزوال الدنيا كلها أهون على الله من قتل رجل مسلم)) [رواه الترمذي 1395]. حديث حسن.

وإذا ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك فكيف بقتل الآدمي، فكيف بقتل التقي الصالح؟ ولذلك تكون بعض الدماء أوزاراً على ظهور أصحابها يوم القيامة، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ وذلك لأنه أول من سن القتل)) [رواه البخاري 3335] رواه البخاري.

وهناك نهر الدم، نهر دم يعذب فيه آكل الربا بالذات في عذاب البرزخ كما قاله عليه الصلاة والسلام: ((رأيت الليلة رجلين أتياي فأخرجاني إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال: الذي رأيت في النهر آكل الربا)) [رواه البخاري 1386] رواه البخاري.

الدماء المهذرة.

ومع حرمة الدماء فإن هناك دماءً مهذرة؛ لأن أصحابها وقعوا في الشأن العظيم: في الردة، الشيب الزاني، القاتل العمد، عن ابن عباس: أن أعمى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له أم ولد وكان له منها ابنان، وكانت تكثر الوقعة برسول الله صلى الله عليه وسلم وتسبه، فيزجرها فلا تترجر، وبينها فلا تنتهي، فلما كان ذات ليلة، ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم فوقعت فيه، قال: فلم أصبر أن قمت إلى المغول فوضعت في بطنها فاتكأت عليه فقتلتها، فأصبحت قتيلاً. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس وقال: ((أنشد الله رجلاً لي عليه حق فعل ما فعل إلا قام))، فأقبل الأعمى يتدلّل، فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت أم ولدي، وكانت بي لطيفة رفيقة ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، ولكنها كانت تكثر الوقعة فيك وتشتمك، فأثمها فلا تنتهي وأزجرها فلا تترجر، فلما كانت البارحة ذكرتك فوقعت فيك فقامت إلى المغول فوضعت في بطنها فاتكأت عليها حتى قتلتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا اشهدوا أن دمها هدر)) [رواه النسائي 4070]. رواه النسائي وهو كذلك عند أبي داود وهو حديث صحيح.

ولذلك كان الراجح من أقوال أهل العلم: أن من سب النبي عليه الصلاة والسلام بعد موته عليه الصلاة والسلام يقتل ولو تاب، لماذا؟ لأننا لا نستطيع أن نستعفي من النبي عليه الصلاة والسلام، ويتنازل عن حقه الآن، فإذا كان حد سب النبي عليه الصلاة والسلام القتل كما جاءت بذلك الأحاديث فإن حقه عليه الصلاة والسلام

باقٍ، لا يمكن أن يتنازل عنه الآن بعد موته، فمن سبه عليه الصلاة والسلام وثبت عليه ذلك يقتل شرعاً ولو تاب، وتوبته عند الله تنفعه، ولكن في الدنيا لا بد من أخذ حق النبي عليه الصلاة والسلام.

ودماء المنتحرين التي ذهبت هدرًا، ((كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده، فما رقا الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة)) [رواه البخاري 3463].

وهناك دماء قدرة تحمل فيروسات الأمراض القادرة، يسير بها أناس ثم ينقلون العدوى إلى الأبرياء والبرينات. ويرى عيسى ابن مريم المؤمنين في عصره دم الدجال على الحربة التي يطعنه بها، يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته.

آيات وعجائب في الدم.

إن في الدم يا عباد الله آيات وعجائب، فمن ذلك أن الله يخرج من بطون الأنعام لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، من بين فرث ودم، ومن الآيات: أن الله سبحانه وتعالى لما كفر قوم فرعون أرسل عليهم الآيات، {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ} (سورة الأعراف 133)، قال ابن كثير رحمه الله: وأما الدم فكان قد مزج بمائهم كله، فلا يستقون من النيل شيئاً إلا وجدوه عبيطاً، ولا من نهر ولا بئر ولا شيء إلا كان دماً.

وكذا قيل: سلط عليهم الرعاف، حتى ما عادوا يستطيعون القيام بأي شيء فيه مصلحة، {قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} (سورة الأعراف 134)، لكن لما كشف الله عنهم ذلك ما ازدادوا إلا عتواً ونفوراً، {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} (سورة يونس 96-97).

ومن الآيات التي جعل الله بها الدم فتنة: ما يقع لياجوج ومأجوج عندما يعيشون في الأرض فساداً، ثم يقولون: قتلنا أهل الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً. [رواه مسلم 2937] وفي رواية: محمرة دماً. وعند ذلك تكون فتنة لهم، ويظنون أنهم قد قتلوا أهل السماء، ثم يرسل الله عليهم النغف مثل الدود في رقابهم فيقتلهم شر قتلة.

أيها الإخوة: إن هذا الدم يخشع لله تعالى، ويعبر المؤمن عن ذلك بهذا الذكر الرفيع الذي يقوله في الركوع مما علمنا إياه النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا ركع قال: ((اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، وعليك توكلت، أنت ربي، خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين)) [رواه النسائي 1051] رواه النسائي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله أن يجعل في دمه نوراً، وكان يقول في دعائه: ((اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً))، وفي رواية: فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري. [رواه البخاري 6316]

إن هذه المسألة شأنها عظيم أيها الإخوة ولها حكم وفيها أحكام.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في دينه، وأن يجعلنا من حراس شريعته، وأن يجعل دماءنا رخيصة في سبيله، وأن يجعلنا مجاهدين لنصرة شريعته من الذابين عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.